من الواضح ما لرجل الدين من أهميّة ومكانة كبيرة في المجتمع وأثر كبير في خدمة الجميع، ولطالما اهتم الله تعالى باختيار من يتكلَّفون بهذه الوظيفة باعتبار أن هذه الوظيفة تنماز من كثير من الوظائف بما يستلزمها من الصدق والوفاء واليقين وحمل الأمانة زيادة على ذلك ما يتعلّق بحسن السيرة والنسب والأخلاق وقوة الشخصية وغيرها من المسائل التي يمكن أن تكتمل معها شخصية رجل الدين أو المبلّغ عن الله تعالى ، وقد ورد عندنا في الأثر أن المبلّغ عن الله يؤدّي وظيفة الأنبياء والأولياء الذين قال فيهم الله تعالى: { اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ } [الأنعام: 124].

ومما لا نختلف عليه أنّ هناك حاجة كبيرة إلى رجل الدين في المجتمع، ففي كل ما يتعلق بالإنسان هناك حاجة إليه، فمثلًا في أحكام الولادة والزواج والموت وتفاصيل أعمال كثيرة وبيان الأحكام الشرعية في مختلف مسائل الحياة نرجع إلى رجل الدين ونسأله، ولا يتكلّف في الإجابة؛ بل يعتقد أنه يؤدّي خدمة مفروضة عليه، وإذا تعذّر عليه لربما أشغل نفسه بالبحث والسؤال؛ ليصل مع السائل إلى إجابة ومعالجة لمشكلته.

ولم يقتصر عمل رجل الدين على ذلك؛ بل هو الباب المفتوح لمن يرغب في ساعات الشدّة والعوز، فقد أثبتت التجربة أنّ رجل الدين الحقيقي يحمل همّ المجتمع بأكمله، ويسعى على الدوام لإصلاح الفرد والمجتمع، ولا يخفى أن رجل الدين قد حمَّل نفسه معاناة الآخرين، وجعل من حاجات المجتمع حاجته، وبادر إلى الإسعاف في أحلك الظروف، وقد لاحظنا ذلك بوضوح في تجربتنا مع رجل الدين الذي نذر نفسه لخدمة الدين والإنسان والمجتمع، ولم يتأخّر طرفة عين عند الحاجة إليه؛ لأنه يشعر بالمسؤولية الشرعية تجاه الآخرين .

وهذا ما وجدناه واقعًا من المرجعية الدينية التي واكبت الأحداث لحظة بلحظة ولم تقصّر طرفة عين مع الجميع باختلاف أجناسهم وقومياتهم وألوانهم ومذاهبهم. ولم يتوقّف الأمر عند هذا الحدّ؛ بل في تجربتنا مع أعداء الإنسانية؛ داعش تخلّى عنا الجميع إلّا رجل الدين، فقد بادرت الجمهورية الإسلامية إلى نصرتنا بعد أن تخلّت عنا أمريكا و(العمق العربي) والدول الأخرى وهمَّت الجمهورية الإسلامية بالوقوف معنا صفًا واحدًا. ولم تميّز بين أبناء العراق؛ بل حتى الإقليم الذين يشهدون وعلى أعلى المستويات أنه لولا إيران لما كان هناك قدرة على مواجهة داعش وردِّها، ولو تأمّلنا الأمر لوجدنا أن سبب ذلك القيادة الدينية التي تشعر بالمسؤولية أمام الله تعالى وتعالج المسائل على وفق رضا الله تعالى ولا تنتظر كلمة الشكر من أحد.

وعلى الرغم من كل ما تقدّم فإنّ رجل الدين عرضة للتسقيط والتشويه، فأينما نجد رجل الدين يبادر كثير من أنصاف الرجال إلى تسقيطه دون الآخرين، فمثلًا اليوم تتعالى الأصوات بالحديث عن رجل الدين الفاسد في البرلمان في حين أن هناك شبهات على كثير منهم وقد يكون رجل الدين هو الأفضل في هذه المؤسّسة قياسًا بالآخرين، وإذا توجّهنا إلى الشارع و المجتمع فنجد أنّ كثيرين يجعلون من مادتهم الإعلامية تسقيط رجال الدين وفي عموم المواقع، والمشكلة الأكبر أن الناس يذهبون إلى تأييده ونصرته، وهذا هو النجاح الذي كان يتأمّله أعداء الدين، ولطالما سعى الظالم إلى تحقيق هذا المطلب؛ لأنه يعلم أن رجل الدين له بالمرصاد ولا يمكن أن ينجح إلّا بتسقيطه ، فيلجأ أحيانًا إلى صناعة بعض رجال الدين الذين يتزيّنون بلباس الدين ويفعلون أفعال الغافلين فيشوّهون مكانة رجال الدين ومن ثمّ يعملون على تسقيطه، فتتحقق بذلك أهداف أعداء الدين.

ومثال ذلك (محمد عبد الوهاب) الذي كان بحقّ مثالًا واقعيًا لرجل الدين الفاسد فأقام مؤسسة فكرية فاسدة وأثمرت أفكاره عن صناعة داعش والقاعدة، وبذلك سقطت قيمة أكثر رجال الدين في عيون المجتمع، وأصبح الإسلام منتجًا في نظر بعض الناس للفتنة والخراب فعزف الناس عن الإسلام بعد أن تعرّفوا على بعض رجاله.

الأمر المهم في هذه المسألة هو متعلّق برجل الدين وأثره وفكره، ومن أنتجه ووجّهه، فمن باع آخرته بدنيا معاوية ليس له إلّا هذه الدنيا الفانية، ومن كان همّه الإصلاح وبناء الإنسان والمجتمع فهذا الذي ينبغي أن يلتفَّ حوله الجميع ويعملوا تحت رايته؛ لأن رايته هي راية الإسلام، وراية الإسلام هي راية رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وهي راية الله تعالى، وعلى الجميع أن يدرك أن مشروع إسقاط رجال الدين الحقيقيِّين هو مشروع استعماري تمارسه القوى الشريرة، وتعمل عليه بمختلف الوسائل، وقد أوعزت إلى جيوش السفارة وأبناء المنظّمات المرتبطة بهم إلى العمل على خلق فجوة بين الدين ورجاله والمجتمع؛ لأن هذا الأمر يسِّهل عليهم كثيرًا من الصعاب ويمكِّنهم من تمزيق وحدة الشعوب وإفراغها من عقائدها وأفكارها الإسلاميّة الصحيحة؛ لتكون أسيرة لأفكار الغرب وسياساته التي تناهض الإسلام والمسلمين.